

مقاييس الشخصية

مستوى الطموح

بقلم اسحاق رمزي

تمهيد : من العسير أن يلقي المرء ولو لمحة خاطفة على مختلف النظريات والمذاهب التي تعرض لدراسة الشخصية وأن يتتبع تاريخها وتطورها ، فبعضها يرتد إلى زمن يسبق علم النفس كما نعرفه اليوم ، كما أن ما كتب ونشر في هذه الناحية يفوق الحصر والتعداد . ويكفي أن نشير إلى أن «روباك» خصص مجلداً بأكمله لمراجع كتابه عن «سيمكولوجية الخلق»^(١) ، وإلى أن كتاب «سيمونز» في «تشخيص السلوك والشخصية»^(٢) يعرض الطرائق الحديثة لدراساتها فيما يناهز الستائة صفحة ، مع أنه قد صدر منذ خمسة عشر عاماً فلم يتضمن بطبيعة الحال ما استحدثت بهد ذلك من تجارب واختبارات . ورغم هذا يمكن أن نحاول تلخيص التيارات المختلفة لهذه الدراسة فيما يأتي :

١ — تحليل الخلق في كتب الأدب وما يقرب منها ، ولهذا تاريخ طويل يبدأ من ثيوفراست وأرسططاليس حتى روائع الأدب الحديث في قصص بلزاك أو ديكنز أو إبسن أو بروسست .

٢ — سيمكولوجية الأمزجة ، من القول بالأخلاق الأربعة وما يقوم عليها من مزاج دموي أو سوداوي أو غضبي أو لمفاوي — حتى دراسة الغدد في العصر الحديث

A. A. Roback: The Psychology of Character, 1927

(١)

P. Symonds: Diagnosing Personality and Conduct, 1931

(٢)

٣ - علوم الفراسة التي عرفت منذ أيام الإغريق وألف فيها العرب ^(١) - حتى الدراسات المعاصرة في هذه الناحية وأخصها بحوث كرتشمري «البدن والخلق» ^(٢)

٤ - التيار الخاطيء الذي انتشر في القرن التاسع عشر بدراسة مناطق الجمجمة وتقسيم المخ إلى أقسام يتصل كل منها بملسكة خاصة . ورغم أن «الفريبنولوجيا» كانت أسوأ الأخطاء التي وقع فيها علم النفس ، إلا أن هذه الدراسة أدت فيما بعد الى البحث في الفروق الفردية .

٥ - دراسة الوجدانات والعواطف التي دعا اليها «ستوارت ميل» وأطلق عليها اسم Ethology ، وقول «شاند» بأن العواطف هي أهم أسس الخلق ، هذا إلى نظريات «مكدوجل» التي لايزال كثير منها قائماً .

٦ - الدراسات المعاصرة التي تقوم على الملاحظة والتجريب والإحصاء ، والتي تحفل بها الكتب والمجلات السيكلوجية مثل اختبارات «رورشاخ» و «مستوى الطموح» و «التقدير الجمالي» . وغير ذلك : وهذا التيار الأخير هو ماسوف نقتصر عليه في المقالات المقبلة التي نرجو أن نوافي بها قراء «مجلة علم النفس» .



تقوم دراسة مستوى الطموح على البحث في أثر النجاح والفشل وفي علاقة كل منهما بأهداف الشخص ، ويقال إن هذه الطريقة تبشر بنتائج طيبة في دراسة الشخصية دراسة تجريبية . ويلتزم مختلف الباحثين فيها أسلوباً يقوم على تكليف الشخص المختبر بمهمة معينة ومطالبته بتقدير ما ينتظر أن يصل إليه من توفيق فيها خلال محاولاته المتتابعة للقيام بها .

ويمكن أن يقتبع المرء دراسة أثر النجاح والفشل وعلاقة ذلك بخلق الشخص

(١) راجع تاريخ علوم الفراسة عند الإغريق والعرب ، وكذلك النص العربي والترجمة الفرنسية لكتاب الفراسة لفخر الدين الرازي في كتاب الدكتور يوسف مراد :

Youssef Mourad : La Physiognomonie arabe et le " Kitab al-Firasa " de Fakhr El-Din Al-Rāzi. Paris, Geuthner, 1939.

E. Kretschmer: Physique and Character, 1921

في نظريات فرويد وأدلر ومكدوجل . ورغم هذا فإن الأبحاث التجريبية التي تتصل بهذه الناحية بدأت بفضل تلاميذ ليقين Lewin ولا يزالوا يقومون بها على هدى نظرياته التي تتصل عن كُتب بمدرسة الجشطالت .

وأول ما ورد مصطلح « مستوى الطموح » ^(١) في ما نشرته ديمبو Dembo حين بدأت بارتياح هذه الناحية من نواحي علم النفس فحاولت أن تثبت إمكان دراسة بعض المسائل المعقدة ، كالنجاح والفشل والتعويض والصراع ، دراسة تجريبية ^(٢) وقام هو بي Hoppe (١٩٣٠) بدراسة علاقة النجاح والفشل بمستوى الطموح الذي عرفه بأنه « أهداف الشخص أو غايته أو ما ينتظر القيام به في مهمة معينة » ^(٣) وكان هو بي يعطى من يختبرهم عدة واجبات بسيطة ويدرس تغير مستوى طموحهم بعد كل محاولة فيها . وقد قرر نتيجة للتجربة التي قام بها أن مستوى الطموح يميل إلى الارتفاع عقب النجاح وأنه يميل إلى الهبوط عقب الفشل ، وقال إن الشخص يعتبر ما قام به نجاحاً أو فشلاً لا وفقاً لحسب لمقدار إجادته في الواقع بل بالاعتماد أيضاً على مدى اقترابه من المستوى الذي كان يطمح إليه . فالشخص يشعر بالفشل إذا كان ماحقه أدنى مما يطمح إليه ، ويشعر بالنجاح إذا كان عمله قد وصل أو فاق ما كان يطمح إليه . وحاول هو بي أن يدلل أيضاً على أن الشعور بالنجاح أو الفشل يقتصر على منطقة محدودة من الصعوبة أي أن المرء لا يشعر بهذا أو ذاك إذا كانت المهمة التي هو بصدها مسرفة في الصعوبة أو مسرفة في السهولة .

ويزعم هو بي أن مستوى الطموح يمكن أن يكشف عن الفروق الفردية . وقال لتأييد ذلك بفكرة « مستوى الأنا » ^(٤) . الذي يشمل أهداف الفرد جميعاً ويتحكم في أية مهمة كبرت أو صغرت يحاول الفرد أن يقوم بها . على أنه يبدو أن هو بي قد

Level of Aspiration.

(١)

Cf. Lewin. A Dynamic Theory of Personality 1935. Ch. VIII

(٢)

Cited in Murray et al., Explorations in Personality, 1938. p. 461.

(٣)

Ego-level

(٤)

عجز عن التفرقة بين الأهداف الواضحة وبين الأهداف الخافية أى بين الأهداف التى يمكن أن يدركها الشخص والأهداف التى تختفى ضمن أنواع معقدة من النشاط يخفى عليه ، هذا إلى أن طريقة بحثه كانت تقتصر على الكيف فلم يعالج نتائجها أو تحليلها تحليلًا كميًا ، هذا إلى أنه عجز أيضاً عن دراسة أثر الواجبات المختلفة أو التعليمات المختلفة فى تغيير مستوى الطموح .

واقصر هاوسمان Hausmann (١٩٣٣) على استخدام هذه الطريقة لدراسة بعض سمات الشخصية فغيرت التعليمات والواجبات ، وحاول أن يربط بين نتائج الاختبار وبين بعض سمات الشخصية كالمثابرة أو عدم الاستقرار . غير أنه يؤخذ عليه أيضاً أن بحثه اقتصر فى غالبه على الكيف .

وواصل البحث بعد ذلك فرانك (١٩٣٥) ، وحاول أن يعتمد فيه على الدراسة الكمية . ووضع مستوى الطموح تعريفاً جديداً — استوحاه من المنطق العملى Operational Logic فقال إنه — «مستوى الإجابة المقبل — فى واجب مألوف — الذى يأخذ الفرد على عاتقه الوصول إليه بعد معرفته مستوى إجابته من قبل فى ذلك الواجب» ^(١) . وقد استخدم فرانك طريقة أكثر دقة وضبطاً يمكن أن تؤدي إلى التقنين والدراسة الكمية ، فكان يعطى الشخص واجباً يتضمن تكرار أعمال بسيطة — مثل طبع كلمات ، مقننة من حيث الصعوبة ، باستخدام آلة للطباعة باليد وكانت جودة كل محاولة تقدر تبعاً لعدد الثوانى التى تستغرقها . وكان يخبر الشخص بعد كل محاولة بعدد الثوانى التى استغرقها للاثتاء من طبع الكلمة أو العبارة ويطلب إليه أن يعين عدد الثوانى التى ينتوى الانتهاء بعدها من محاولته التالية .

وكان فرانك يقدر نتائج الاختبار على ضوء أمرين : الأول هو متوسط الفرق بين مستوى الطموح ومستوى الإجابة والثانى جمود مستوى الطموح . وهو يزعم أن متوسط الفرق هو مقياس مباشر لارتفاع الطموح وأنه يكشف عن الفروق الفردية

Frank: Individual differences in certain aspects of the level (١) of aspiration. American Journal of Psychology, 47, 1935, p. 449

في الشخصية . وقد وافق على ما قال به « هوبي » من أن الفرق بين مستوى الطموح ومستوى الإبداع يعتمد على ثلاثة عوامل : ١ - الرغبة في وضع مستوى الطموح على أقرب ما يمكن من مستوى الإبداع ، ٢ - الرغبة في رفع مستوى الطموح عن مستوى الإبداع ، ٣ - الرغبة في تجنب الفشل الذي يشعر به المرء إذا كان مستوى إبداعه أدنى من المستوى الذي طمح إليه . وتكشف هذه العوامل كلها ميل « الأنا » إلى الارتفاع والتفوق .

ويمكن أن نلاحظ ، عابرين ، أن فرانك في تعريفه لمستوى الطموح قد ابتعد عن الآمال والرغبات الخافية التي كانت « هوبي » يلتمس الكشف عنها . وأن فرانك لم يفتن تماماً إلى أن العوامل الواضحة التي كان يدرسها ليست هي بالضرورة نفس العوامل الخافية التي يتضمنها ما يمكن أن نطلق عليه « مستوى الأنا » . وأن الاختبارات التي استخدمها والنتائج التي وصل إليها يمكن أن يدخل فيها كثير من العوامل التي لا يمكن ضبطها أو الكشف عنها . هذا إلى أن أغلب التجارب التي قام بها كانت على عدد قليل من الأشخاص وأن النتائج التي وصل إليها لا يمكن إثباتها إثباتاً كافياً بطرق الإحصاء .

وحاول يوكنات Jucknat (١٩٣٧) أن يصلح الطريقة بإعطاء المختبر فرصة الاختيار بين عدة مقاهات . وهو يزعم أن النتائج التي وصل إليها تدل على أن النجاح أو الفشل في أحد الميادين قد يؤثر على مستوى الطموح في ميدان آخر ، إذا كانت هناك علاقة وثيقة بين كلا الميادين ، وإذا لم يكن مستوى الطموح في الميدان الثاني ثابتاً ثباتاً تاماً .

وقد اتضحت بعض العوامل التي تؤثر على مستوى الطموح بما تلا ذلك من الأبحاث الأخرى . إذ تبينت أهمية العوامل الاجتماعية بعد البحث الذي قام به تشابمان وفوكمان Chapman & Volkmann (١٩٣٩) ، فقد أثبتنا أن معرفة ما وصل إليه الآخرون في اختبار ما ، قد تؤثر أثراً واضحاً على طموح الشخص المختبر . كما بحث أندرسون وبرانديت Anderson & Brandt (١٩٣٩) أثر الخبرة السابقة

فاختبروا مستوى الطموح في فئة من الأطفال الذين كانوا يعرفون مقدار إجادتهم من قبل . بل كانوا يستطيعون مقارنتها بما فعله زملاؤهم في الفصل . وظهر نتيجة لهذه التجربة أن مستوى الطموح في هذه الظروف كان يميل إلى الاتجاه نحو مستوى متوسط .

ومع أن جاردنر Gardner (١٩٤٠) قد اقتصر على دراسة الأهداف الواضحة فإنه لم يجد أية علاقة بين متغيرات عناصر الشخصية كما نقيسها بمقاييس التقدير وبين النتائج التي حصل عليها خاصة بمستوى الطموح .

وبحث إروين ومينيتزر Irwin & Minitzer (١٩٤٢) أثر التعليمات التي تلقى على الشخص قبل إجراء الاختبار ، فقرروا أنه قد نتج عن تغيير التعليمات اختلاف كبير واضح بين النتائج ، فقد كانت مستويات الطموح إذا طلب من الشخص تقدير ما « يأمل » تحقيقه أعلى بكثير منها إذا طلب منه تقدير ما « ينتظر » الوصول إليه .



يبدو من هذا كما يقول روتر Rotter ^(١) أن الباحثين قد يعرضوا لمستوى الطموح من عدة نواح : بحثوا فيه كعنى مجرد أو فكرة عامة ، أو بحثوا فيه من حيث أنه صفة من صفات الأفراد ، أو بحثوا فيه كنوع من الاستجابة في بعض التجارب . ويلوح أنه ليس هناك ما يربط بين هذه الدراسات جميعاً سوى هيكل التجارب والاختبارات التي يتبعونها ويعملون على تحسينها .

غير أنه من الواضح أن الفكرة الأساسية التي أوحى بهذه الدراسات المختلفة قد أشبعها بالغلظة الشائعة التي تعيب كل « مدرسة » من مدارس علم النفس الحديث وهذا الخطأ الذائع هو البدء بحكم سابق أو الاستمسك بفكرة واحدة ومحاولة تفسير كافة وجوه النشاط الإنساني على ضوء هذه الفكرة أو ذلك الحكم . وهنا يبدو أن كافة من بحثوا في مستوى الطموح يؤمنون إيماناً صريحاً قوياً بأن الباعث الوحيد

(١) Rotter. Level of Aspiration as a Method of Studying Personality. Psychol. Review 49, 1942, p. 464.

على النشاط هو إرادة القوة واعتبار الذات . لكن هذا المبدأ أمر واضح لا يحتاج إلى بحث أو استقصاء إذا ما قررناه أول الأمر ، بل هو من الأقوال الفضاضة التي لا يحق لنا أن نستخدمها في الإيضاح والتفسير ^(١) . هذا إلى أننا لو قبلنا هذا المبدأ لوجب علينا أن نعمل على تحليله وتعرف مقوماته ودراسة الوجوه المختلفة التي يظهر بها أو يؤثر فيها .

وقد يقال إن بعض الباحثين قد حاولوا دراسة طبيعة المواقف المختلفة التي تحيط بالشخص أثناء القيام بالتجربة كما قام آخرون بدراسة الفروق الفردية وعوامل الشخصية التي يحتمل أن يكون لها أثر في مستوى الطموح . غير أن الواقع أن الكثرة من أولئك الباحثين كانوا ينحون إلى قصر دراساتهم على البحث في ارتباط مستوى الطموح بعوامل الشخصية التي تشتق على الأغلب من نظريات « المدرسة التحليلية » والتي كثر شيوعها كما تشيع لفتات الإعلان عن السلع والبضائع . هذا إلى أن « محاولات التحقق من صحة هذه الآراء بواسطة طرق الإحصاء المألوفة لم تنجح سوى نجاح جزئي » ^(٢) .

بالإضافة إلى هذا لم نجد أحداً من الباحثين — على قدر ما تتبعنا تاريخ هذه السلسلة من البحوث — قد تعرض لدراسة العلاقة بين مستوى الطموح وبين العوامل البدنية . ولم نجد أن أحداً قد حاول دراسة ذلك المستوى في علاقته بالقدرات العقلية أو نسبة الذكاء ، سوى سيرز Sears (١٩٤٠) في تجربته المحدودة كما أن أثر العوامل الاجتماعية الكثيرة التي لاشك في أن لها فعلها في تحديد أهداف الشخص ، لم يدرس بعد دراسة شافية . هذا إلى أن أحداً لم يتعرض للربط بين مستوى الطموح وبين ميول الشخص وقدراته الخاصة ، أو يحاول دراسة ذلك المستوى بطريقة تستهوي الشخص المختبر .

ومن ثم نخيل إلينا أن الطرق التي استخدمت حتى الآن لدراسة مستوى الطموح يشوبها كثير مما يتعرض للتجريح والنقد ، كما أنها مثقلة بكثير من العوامل التي

Allport: Personality , 191 , p. 171

(١)

(٢) Frank: Recent Studies of the Level of Aspiration. Psychological Bulletin, 38, 1941. p. 222

لم يمكن ضبطها ، مما يؤدي إلى إنلاف « صحة » هذا الاختبار ويعيب صلاحيته لتقدير الشخصية . كما أن نتائج البحوث المختلفة في هذه ليست كبيرة الدلالة وكثيراً ما تناقض بعضها بعضاً ، والطرق التي استخدمت مازال يعوزها كثير من الدراسة والتحليل قبل أن تصبح مقياساً نافعاً لبحث الشخصية .

لندن مايو ١٩٤٦

Summary

I. RAMZY : Level of Aspiration

Studies and tests concerning the level of aspiration are concisely reviewed and discussed. It is argued that the basic idea underlying them all is imbued with the prevalent error that is common to almost every school of modern psychology namely to start with one prejudice and to try to explain in its light all human activities. Here it is obvious that the basic idea is that the one important motive for activity is the will to power and self-esteem, while this is a self-evident principle and a psychological redundancy.

Some investigators tried to study the nature of situational factors and other individual personality factors that may influence the level of aspiration, but most of these investigators were inclined to confine their studies to the correlations with concepts derived mainly from psychoanalytic theories and used almost as 'slogans' without verification. Moreover none — as one could follow this series of studies — has studied relation between the level of aspiration and physical factors; none has tried to study it in relation to intellectual levels except Sears (1940); very little was done to determine the influence of the many social factors in setting up the individual's goals. And nothing has been done to detect the subject's interests and his specific abilities or to study his level of aspiration with a device that appeals to him.

The methods hitherto used to study the level of aspiration are obviously handicapped with so many uncontrolled factors that should undermine their validity as a means of assessing personality. The results obtained are not very significant and often contradictory. It seems that these techniques require a considerable amount of study and analysis before they can become useful in the field of investigating personality.

London, May 1946